

## آثار الحسد على الحياة الاجتماعية



ورد في القرآن الكريم: (وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَا وَيَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَدَّى يَنْ لَهُمُ الْحَقُّ... ) (البقرة/ 109). وعن رسول الله ﷺ (ص): "لا تحسدوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغوا وكونوا عباد الله إخوانا" وعنده أيضاً (ص): "إن الحسد ليأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب". - تعريف الحسد: إن الحسد هو كراهة وجود النعمة عند الآخرين أو حب زوالها فيهم سواء تمنى الحسود وجود هذه النعمة عند نفسه أو لم يتمناها. وفي المنظار الإسلامي يعتبر الإنسان حاسداً لو أراد لنفسه ما يكره لغيره أو يكره لنفسه ما يريده لغيره.

- أسباب الحسد:

- 1- التواء نفسية الإنسان وخباذه طبعه: فإن هذا الأمر يؤدي إلى الحسد بشكل طبيعي، فالحسود بسبب نفسيته الملتوية يبدي عدم رضاه الكلي عندما يسبغ الله تبارك وتعالى نعمه على عباده، فهو لا يتمنى للناس خيراً وسعادة بل يتمنى لهم خراب أمورهم وشقاءهم. ومثل هذا الإنسان يصعب التخلص من مرضه (الحسد) لأن المرض هنا ليس من الأسباب العارضة التي يسهل معالجتها غالباً بل إن هذا المرض متصل مباشرة بنفسية الحسود وبطبعه.
- 2- العداوة والبغضاء: فإنهما موجبان للحسد، فإن الإنسان ليحسد الآخر لأنّه عدوه وبسبب بغضه له. وهناك نقطة ينبغي الإشارة إليها في هذا المجال وهي أنّه لو كان هناك شخص مؤمن مثلًا يبدي عدم رضاه نحو حاره الكافر بسبب ما لديه من ثروة وأموال، فهو يبدي عدم رضاه نحوه لأنّه يعتقد أن هذا الكافر إنما يتصرف بهذه الأموال في أمور غير شرعية كشرب

الخمر وإقامة الحفلات الالهية فهو يتمنى زوال هذه النعمة منه، ولا يعتبر الإسلام ذلك حراماً ولكن ذلك يدخل في باب الغيرة، فالمؤمن هنا يغار ولا يرضي بالفساد. 3- حب التفرد في صفة من الصفات التي تميز الإنسان عن غيره كالشجاعة أو الفن أو العلم أو الجمال.. وحُبُّ أن يُمدح الإنسان بما يمتاز به مما ذكرنا. إن نفس هذه العملية تسبب الحسد. 4- الخوف من فوت المقاصد: ويختص ذلك بمتزاحمين على مقصود واحد، فإن كل واحد يحسد الآخر ويتنى عدم وصوله إلى ذلك المقصود لأنّه يريد لنفسه فقط التفرد به، كتحاسد المضرار في مقاصد الزوجية، والأخوة في نيل المنزلة في قلبي الآبوين. 5- التعزز: فالإنسان قد يشعر أحياناً بعزّة نفسه فلا يرضى أن يكون أحد من أقرانه أو أصحابه أعلى مستوى منه، لأنّه يخشى أن يتکبر عليه صاحبه ويستغره، فهو يحسده كلما حصل على نعمة تعززاً لنفسه، ولكنه في الوقت نفسه لا يقصد التكبر - يعني الحاسد - لأنّه يرضى بمساواة من يحسده، وإنما غرضه هو أن يدفع كبره.

6- التكبر: فالتكبر من طبعه الترفع على بعض الناس، فهو يحسد الآخرين الذين ينعمون ببارك وتعالى عليهم، لأنّه يتصور أنّ الآخرين إذا وصلوا لمستوى أعلى من مساواه أو مساوياً له فسوف يكون ذلك عدم انقيادهم لأوامره ونواهيه، ويترفعون عن خدمته، فهو يحسدهم كلما أسبغ الله تعالى عليهم من نعمة التي لا تعد ولا تحصى، لأنّه يخاف أن يعود خادماً بعد ما كان مخدوماً. وقد كان حسد أكثر الكفار لرسول الله (ص) من هذا القبيل حيث قالوا: - (لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْبَى تَبَرَّكَتْ بِهِنَّ عَظِيمٌ) (الزخرف/31). فكيف يتقدم علينا غلام فقير يتيم. 7- التعجب: فقد يكون المحسود في نظر الحاسد حقيراً، فكيف يستحق تلك النعمة العظيمة من الله تعالى. فمن هنا نشأ الحسد. وكثيراً ما حسدت الأمم أنبياءها لهذا السبب بقولها على حد تعبير القرآن الكريم: (مَا أَزْتَهُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا) (يس/15). (فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرٍ يَنْهَا مِثْلَنَا) (المؤمنون/48). (وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ لَخَاسِرُونَ) (المؤمنون/34). فكان الأنبياء في نظر حاسديهم من الحقارة إلى أبعد حدودها، هذه الحقارة هي التي جعلتهم يتعجبون من فوزهم برتبة الوحي والرسالة. ومما يجدر بنا الإشارة إليه هنا هو أن كل تلك الأسباب التي تؤدي إلى الحسد ترجع أساساً إلى نقطة واحدة هي حب الدنيا والتعلق بملذاتها وزخارفها. - قراءة في أفكار الإنسان الحسود: إنّ الإنسان الحسود يتجرأ على الله تعالى، ويعانده، ولا يرضي بحكمه الفضل، وبتوزيعه العادل لنعمة الكثيرة التي يسبغها على عباده، في حين أن حكمته تبارك وتعالى تقتضي أن تبقى هذه النعمة على هذا الإنسان أو ذاك. فـ تبارك وتعالى من صفاته عدم النقص فهو الكامل وهو وحده الذي يتصف بكل صفات الكمالية ومنها الحكمة. ومع كل ذلك فإنّ الحسود يتمدد على الله تعالى، ويتنى أن تزول نعم الله عن عباده وبالتالي فهو يحب

الشر ويرضى به ويطلبه في حين أنّ "إِنْ تبارك وتعالى يرید من البشر الكف عن اظهاره. وبإِجمال فإنّ الحسود أفكاره بعيدة كل البعد عن أفكار الإسلام النظيفة الناصعة البياض والمطهارة، لأنّه يحب الضرر للغير ولا يعمل على حفظ الهدوء والاستقرار ونشر السعادة والمحبة في مجتمعه. وقد ورد في بعض الأحاديث القدسية "إنّ الحاسد عدو لنعمتي، متسلط لقضائي، غير راض بقسمتي التي قسمت بين عبادي". - دور الحسد السلبي في الحياة الاجتماعية: مما لا ريب فيه ولا إشكال هو أن أعمال الإنسان الحسود في الواقع المعاش مطابقة تماماً لأفكاره الكافرة؛ لأنّ النبات المر لا ينبت إلا مثله، وكذا الأفكار الشريرة السيئة لا تولد إلا أعمالاً ذات صبغة عدوانية حاقدة وفي غير صالح المجتمع العالم أو الفرد نفسه. إنّما إذا أردنا أن نذكر أمثل الحسود وأفعاله نراها كلها أعمالاً غير صالحة لأنّها غير شرعية قد نهى الله عنها. وسنذكر من هذه الأعمال ما يلي: أ- القتل: والقول في أنّ الحسد قد يؤدي إلى القتل في كثير من الأحيان لا استغراب فيه ولا دهشة، فالأخبار التي تأتي من الساحة الاجتماعية ومن كل المجتمعات من خلال وسائل الإعلام والمصحف والمجلات الخاصة بالقتل نستطيع أن ندخل في دوافعها - بعد تحليل الخبر - الحسد... ونحن نعلم من قصة هابيل و Cain كيف أنّ الحسد حمل قabil على قتل أخيه هابيل. ب- تعكير صفو الحياة الاجتماعية: فالحسود أفكاره تختلف عن أفكار المجتمع الذي يعيش فيه ولذلك فإنّ الخلافات بينه وبين من يتعامل معه تکاد تكون مستمرة في أغلب المعاملات سواء على المستوى الأسري أو الاجتماعي مما يؤدي كل ذلك إلى تعكير صفو الحياة الاجتماعية. وللمزيد من التوضيح فإنّ الحسد يؤدي بصاحبه غالباً إلى غيبة الناس، والبهتان وهتك الستر وافشاء السر والقبح في الغير وذكر مساويه، والغش والرياء والكذب والنميمة وعدم التعاون... ومن المعلوم أن كل هذه الصفات من الأخلاق الذميمة التي يتبرأ منها الإسلام وكلها تعمل على فتك أفراد المجتمع بعضهم ببعض، مما يوقع ذلك المجتمع في الشقاوة والنفاق ثم الدمار. - علاج الحسد: نظراً لكون الحسد من الأمراض النفسية المهلكة للنفوس فإن علاجه يختلف عن علاج المرض العضوي فالمرض العضوي يتم علاجه عن طريق الدواء.. أما المرض النفسي فيتم علاجه عن طريق التداوى بالعلم والعمل النافع والصالح. مما هو العلم الذي ينفع الحسود وما هو العمل النافع الذي لا بدّ أن يتقييد الحسود به حتى يتخلص من مرضه؟ أو "لَا" ، العلم النافع: ويقصد به العلم الذي يخلاص الحسود من كل الأفكار السوداء التي تنتاب فكره ومشاعره وأحاسيسه، وهو العلم الذي يحاول أن يغرس الفكر الإسلامي الأصيل في عقل الحسود، وهذا الفكر سيكون موقفه موقف الند أو الصد من أفكار الحسود وبعد أن يتلاقي الخصم أو الفكران - الفكر الإسلامي والفكر الجاهلي - في صراع طويل يستطيع الفكر الإسلامي الانتصار على الفكر الكافر الذي انشأه الحسد في عقل صاحبه. ونقصد بالفكر أو العلم النافع الذي يجب غرسه وتغذيته عقل الحسود به هو جملة من الأفكار

تتلخص في الحقائق الآتية: 1- إن الحسد يضر بدين الحسود، وهو يجره إلى عدم الرضا بقضاء الله تعالى كره نعمه التي قسمها بين عباده بالحكمة (وَلَا تَتَمَذِّجْ مَا فَحَصَّلَ اللَّهُ بِرَبِّهِ بَعْدَ حَكْمَهِ عَلَى بَعْضِ لِلْمُجَالِيَنَّ صَاحِبُ مِمَّا أَكْتَسَبُوا وَلِلْمُسَاءِ نَصَارَبُ مِمَّا أَكْتَسَبُونَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَحْصٍ لِّهِ) (النساء/ 32)، كما يجره إلى إنكار عدل الله الذي أجراه في ملكه. إن مثل هذه الأفكار تؤدي إلى الكفر به تعالى لأنّها تزيل أصل التوحيد والإيمان فضلاً عن الأضرار بهما. وإن الله الكفر يقود صاحبه إلى جهنم إنّه يقوده إلى عذاب الله الأليم. فيجب إذن إقناع الحسود بكل هذه الأمور حتى يمكن احداث تغييرات جوهيرية في فكره. 2- يجب إقناع الحسود بأن الحسد يسبب له الضرر البليغ في الدنيا فالحسود في عذاب وألم دائمين لأن نعم الله تبارك وتعالى لا تنقطع عن عباده. وذلك لا يزيد الحاسد إلا عذاباً وألماً كلّما رأى لمحسوديه نعمة أو أحس ببلية تنصرف عنهم. كما أن المحسودين سيعاملونه بالمثل فكلما يزداد غمه وهمه يفرجون تشفياً به. 3- لابد أن يعلم الحسود بأن الحسد لا ينفع الحسود فهو لا يغير من نعمة المحسود شيئاً فالذي يقدّره الله تبارك وتعالى لعباده من النعم لابد أن يستمر إلى وقته ولا ينفع الحسد والتدبر الحيلة في دفعه وأنّه لا مانع لما أعطاه ولا راد لما قضاه وأنّه (لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ) (الرعد/ 38)، (وَكُلِّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ) (الرعد/ 8). إن الحسود يجب أن يعلم بأن الحسد لا يؤدي إلى زوال النعمة وإن هذا الاعتقاد خاطئ وهو غير صحيح شرعاً؛ فلو كانت النعم تزول بمجرد الحسد لم تبق إذن نعمة على كافة الخلق لعدم خلوهم من الحسد. ولم تبق إذن نعمة الإيمان على المؤمنين لأن الكفار يحسدونهم. قال تعالى: (وَدَّتْ طَائِفَةً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُهْلِكُونَ وَمَا يُهْلِكُونَ إِلَّا زُفْسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ) (آل عمران/ 69). 4- كما ينبغي إقناع الحسود بأن المحسود سيستفيد من جراء حسد الذي يحسده من حيث كسب الثواب الجزيلاً من الله تعالى كلما ازداد صبراً وخاصة إذا أدى الحسد بصاحبته إلى ما لا ينبغي من القول أو الفعل كالغيبة أو البهتان وإفشاء الشر. وفي هذه الحالة سينتقل بعضه من أوزار المحسود باعتباره مظلوماً إلى الحسود كما تنتقل بعض حسنات الحسود إلى المحسود. ثانياً العمل النافع: وحتى تكون تلك الأفكار ذات تأثير كبير في قلب أفكار الحسود السوداء رأساً على عقب يجب أن تحول إلى تجسيد حقيقي قدر المستطاع فالعلم والعمل وجهاً لعملة واحدة، فلا فائدة للعلم بدون اقتراحه بالعمل الذي يحبه الله. والمقصود هنا بالعمل النافع ذلك العمل الذي يكون ضداً ونداً للعمل السيء الذي يقاومه فمثلاً لو كان التكبر هو الذي سبب الحسد لصاحبته فإن عليه تكليف نفسه وإلزامها بالتواضع. ولو بعثه الحسد على غيبة الناس أجبر لسانه على مدحهم والثناء عليهم. وهكذا... إن عليه أن يكرر ذلك ويداوم عليه، وهذا العمل بطبيعة

الحال سيؤدي إلى حب المحسود له بعدهما كان يكرهه، وإذا شعر الحسود بذلك فإنه سيحبه هو الآخر فتتولد بينهما المودة وتنزول حدة الحسد نهائياً<sup>١</sup> بإذن الله. المصدر: مجلة المنطلق/  
العدد (14)